

حقيقةٌ مرةٌ يجب معرفتها

(الحلقة الثالثة، الجزء الأول)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، أجمعين، أما بعد:

فهذا هو الجزء الأول من الحلقة الثالثة من سلسلة الحلقات التي وعدتُكم بها، وقد استخرت الله عزَّ وجلَّ قبل شروعي فيها، ثم استخرت الله مرة اخرى لهذه الحلقة خاصة؛ ذلك لأنِّي -والله- أكتبها وأنا في غاية الأسف والحزن، ولم يخطر ببالي يومًا من الدهر أن أذكر هذا أو أنشره، ولكن ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولًا.

ولعل قائلًا أن يقول: لِمَ كتم أشرف هذا ولم يخبر به في حينه؟

والجواب عن هذا بأن يقال:

أولًا: أنِّي -والله- أكره النميمة، وأبغضها غاية البغض؛ لأنَّها خلق ذميم، مذموم صاحبها لا محالة، نسأل الله العفو والعافية، لا كما أشاع ذاك المجهول عني كذبًا بأنِّي أمشي بين المشايخ بالنميمة في المدينة النبوية! حاشا وربِّ السماء.

ثانيًا: كنت إذا وقع شيء مما سيأتي ذكره، أقول: لعل هذه من دواخل النفس والحزازات التي تطرأ و تكون بين العلماء بعضهم البعض أحياناً ؛ ولذا -والله-، -وربي شاهد عليَّ- أنَّني كنت أقلب الكلام للحسنى، والألفة، وبثِّ ونشر المودة، والله -جلَّ وعزَّ- من وراء القصد.

والآن أخي القارئ الكريم آن أوان الشروع في المقصود، فأقول مستعينًا بالخالق المعبود:

تعرفت على الدكتور عبد الله البخاري نهاية عام ١٤٢٤هـ تقريبًا، عندما كنت في مسجد التوحيد والسنة بولاية درهم نورث كلورينا الأمريكية حيث كنت اتصل عليه بالهاتف لطرح بعض الأسئلة.

وكانت تربطني علاقة وطيدة بالدكتور عبد الله البخاري، حيث كنت أحضر دروسه، ولا أفوت على نفسي منها شيئًا غالبًا، وكذلك فقد كنت أدرس ابنه، وإنَّما ذكرت هذا ليُعلمَ أنِّي كنت قريبًا منه.

ولما وقعت فتنة الصعافقة، وتأكدت أنَّه –مع بالغ الأسف والأسى والحزن– له موقف خطير تجاه العلامة محمد بن هادي المدخلي –حفظه الله–، وآخر مريب مع الصعافقة، يتجلى في أمور، منها:

١. أنَّ كثيرًا من الكذب والافتراء والبهتان الذي ينسب لفضيلة شيخي وأستاذي ووالدي العلامة محمد بن هادي المدخلي –حفظه الله– يصله ولا يرده، بل لا يحرك ساكنًا!

٢. أو يصله ويرضى به؛ وهذه أشد.

٣. أو يصله ويشيع بعضه، أو يشيعه في الناس، وخاصةً من يأتيه في الفترة الأخيرة! وهذه أشد وأشد.

٤. أو هو بنفسه مع بالغ الأسف يقوله ويرمي به أخاه الشيخ محمد هادي المدخلي! وهي أشدُّها وأشرُّها.

لذلك عزمت على البيان، نصحًا للخلق، وإبراءً للذمة أمام الحق –جلَّ وعلا–، ولتعلم أخي الكريم أنه وطيلة صحبتي للشيخ محمد –حفظه الله– ما ذكر الدكتور البخاري إلا بكل خير –والذي لا إله غيره–، بل إن بلغه شيء عن الدكتور البخاري، فإنَّه لا يزيد على قوله: (الله يهديه الشيخ عبد الله، ما كان عليه يفعل كذا)، فقط.

وأنا الآن سأذكر بعض الوقائع التي تدلل على بعض ما قلت، واعلم -وفقك الله- أنِّي اذكر ما أذكره نصرةً للمظلوم، ودفعًا لعدوان الظالم، والله من وراء القصد:

الواقعة الأولى: الدكتور البخاري يطعن في الشيخ العلامة محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله- قبل الفتنة بسنة، أو سنة ونصف تقريبًا!

فبعد انتهاء (العرس السلفي)، -هكذا اسميه - وهي الاستراحة التي أشرت اليها في الحلقة الثانية، والتي جمعت ثلة من مشايخنا السلفيين- اتصل بي الدكتور البخاري قرابة الساعة ١٢ ليلًا، واستغرق الاتصال مدة ساعة وواحد وعشرون دقيقة بالضبط، وكان جلُّ ما جرى في هذا الاتصال الطويل: وصف الشيخ محمد -حفظه الله- بأنَّه مراءٍ! ويحب الظهور! والرياسة! وتحامل عليه جدًا جدًا! وهذا بسبب بعض الأمور والأحداث والترتيبات التي كانت في ذلك اليوم.

الواقعة الثانية: قصة الدكتور صالح بن عبد العزيز السندي، فقد ذكرت سابقًا أخي الكريم أنِّي كنت أعمل عند الدكتور السندي، ومرةً بعد صلاة المغرب أوقفني، وأعطاني ثلاثة رسائل من تأليفه هديةً للشيخ محمد بن هادي المدخلي، وبالفعل أخذت الرسائل ووضعتها على مكتبي، ثمَّ ذهبت لشيخي العلامة محمد -حفظه الله- ونسيت الرسائل في البيت، وعندما انتهيت من زيارة الشيخ، ورجعت إلى بيتي وجدت الرسائل على المكتب، فاتصلت بالشيخ محمد -حفظه الله- مسرعًا وقلت له: شيخنا عندي أمانة لك نسيتها في البيت، فقال: وما هي؟ قلت له: حفظك الله، ثلاث رسائل من الشيخ صالح السندي، فقال لي الشيخ: تحفظُ أم تكتبُ -يقصد ما يريد أن يبلغه لصالح السندي- فقلت: احفظ شيخنا، فقال لي: بل

اكتب أفضل، قلت: أبشر، فأملى عليَّ قائلًا: (قل له: يا صالح هتف العلم بالعمل فإن أجابه، وإلا ارتحل، فقط لا تزيد عليها شيئًا من كلام المصريين) انتهى.

وإنما يقصد الشيخ –حفظه الله– تلطيف العبارة ونحوها؛ لأنَّه يعرف أسلوبي –حفظه الله–، ثمَّ

والله وبعد هذه الرسالة لم يسألني الشيخ محمد –حفظه الله– عن شيء البتة، بل كنت ادخل عليه يوميًا في كل وقت، وما ذكر لي ولا سألني عن شيء يتعلق بالموضوع البتة.

وبعد مضي يومين، وكنت أتدرب في مكان يرتاده الدكتور عبد الله البخاري وأحد طلبة العلم المعروفين –لم أذكر اسمه للمصلحة– وكان هذا الطالب قريبًا جدًا لي فحدثته بما جرى من باب المشاورة، وبعد يوم واجهني الدكتور البخاري أمام هذه الصالة الرياضية وشدد عليَّ قائلًا بأنَّه يجب أن أرجع هذه الرسائل للدكتور صالح السندي وأن أخبره بما قاله الشيخ محمد بن هادي المدخلي، وفعلًا، ذهبت وصليت المغرب مع الدكتور صالح السندي، وأعطيته الرسائل وقلت له ما قال الشيخ محمد حرفيًا، فردَّ عليَّ قائلًا: (وأنا من باب عملي بما أعلم، أنني لست غنما أساق، والذي اعتقده وأدين الله به، أنَّ الشيخ محمدًا ظالم لإبراهيم الرحيلي، والشيخ إبراهيم محقٌّ).

ثم بعدها انصرفت و–والله– ما خطر لي ببالٍ أن أنقل رد الدكتور صالح السندي إلى الشيخ محمد بن هادي –حفظه الله–، وفي كل هذه الفترة مع كثرة دخولي على الشيخ وجلوسي معه، والله لم يسألني عن شيء يتعلق بذلك نهائيًا.

وأما الدكتور البخاري فهو من تولى أمر المسألة، حيث كان يعاتبني في هذا الأمر، حتى اتصل علي وسألني: ماذا قال السندي؟ فوالله ما أردت أن أخبره بشيء، وقلت: خيرًا إن شاء الله يا شيخ، حتى أصر عليَّ، فقلت للبخاري ما قاله السندي وكان ذلك مني على مضض؛ لأني –والله– كنت أريد إخفاء هذا الأمر، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

ثمَّ بعدها قال لي: يجب أن تخبر الشيخ محمد بن هادي بما قاله السندي، فقلت له: خلاص يا شيخ الأمر انتهى، فأوجب عليَّ أن أخبر الشيخ محمد بن هادي بما قاله الدكتور صالح سندي، -ووالله وقع كلُّ هذا، والشيخ محمد ما سألني عن شيء-.

ثمَّ زرت الشيخ مرةً، وعندما دخلت عليه وجدته جالسًا على الأرض يلاعب ابنه أُنَيس الصغير، فدخلت، وجلست في مكاني المعتاد، فقال لي الشيخ: ما بك يا أبا أحمد؟ فقلت له: شيخنا الحمد لله، ما في شيء.

ثمَّ قال لي: يا ولدي أنا أعرفك، تعال هنا واجلس، فجلست بجانبه على الأرض، فقال: ما بك؟ هل عندك شيء؟ فقلت له: شيخنا تذكر رسائل الدكتور صالح؟ فقال لي: نعم، هل رددتها له، وقلت له ما أمليتُ عليك؟ قلت: نعم، فقال: الحمد لله.

و-والله لم يسألني ماذا قال- فقلت له: شيخنا والشيخ صالح ردَّ على هذا، وقصصت عليه، فقال: الحمد لله، أنا أديت الذي عليَّ.

وأريد أن أنبه الأخ القارئ الكريم على أمور:

الأول: أنِّي ما أردت أن أخبر شيخنا محمد بن هادي بشيء، والسبب في إخباري له هو: ضغط الدكتور البخاري عليَّ، وإلزامه ليَ بذلك.

والثاني: وهو أنِّي لم أذكر الدكتور السندي -والله- إلا هذه المرة فقط، لا كما يقول المفتري عني أنِّي أمشي بين المشايخ بالنميمة! ألا ساء ما يفترون.

والثالث: وهو أنَّ الشيخ محمدًا -حفظه الله- لم يتكلم في الدكتور صالح السندي بسبب ما قلت له؛ لأنَّ بين الموقفين وقت طويل، فتنبه أخي القارئ الكريم.

وقد نُقِل عني أنِّي قلت لبعض إخواني ممن كنت أحسن الظن بهم جدًا عندما رُحِّلت من السعودية: ما أظن إلا أنَّ سبب ذلك ذنبي الذي فعلته مع الدكتور صالح السندي: وهو

نقلي ما قال إلى الشيخ محمد، وهذا حقٌّ، ولكن -والله- إنَّ السبب وراء هذا كلِّه هو ضغط الدكتور البخاري عليَّ حتى وقعت فيما وقعت فيه.

✍ كتبه:

أشرف أحمد البيومي.

عصر الخميس: ١٩/ ١٢/ ١٤٣٩ هـ.